معاً على طريق الجنة

الزهد

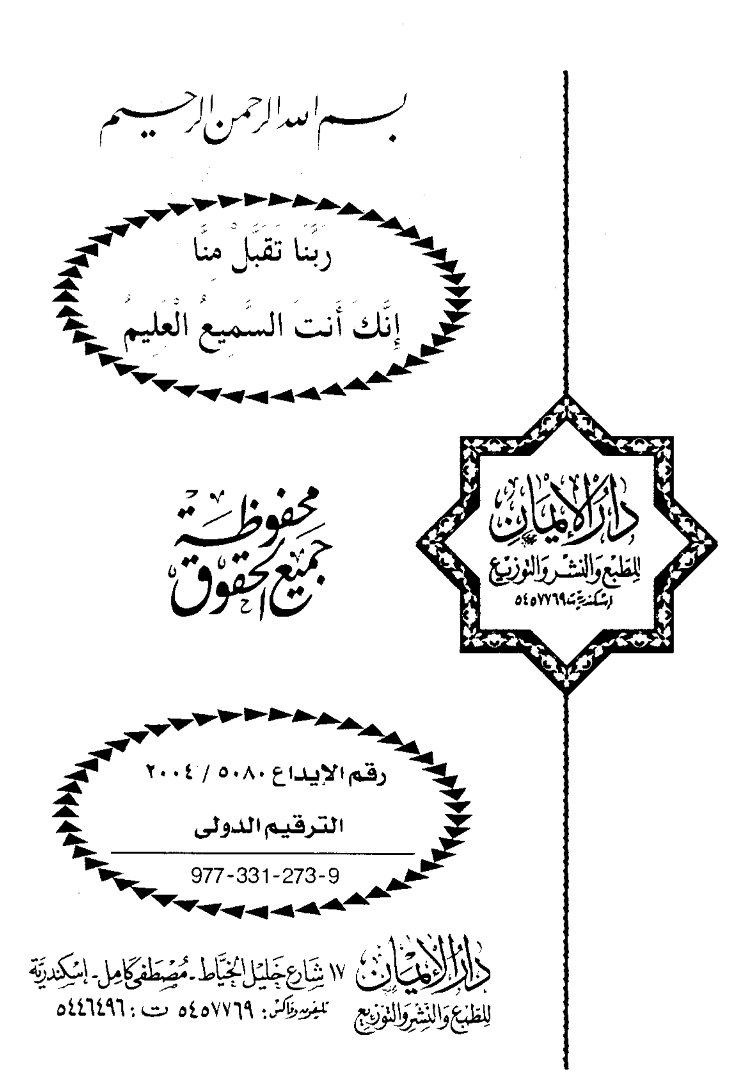
ازهد في الدنيا يحبك الناس

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد عبد العظيم

وائل الشيخ

دار الإيمان
إسكندرية

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي



رقم الايداع ٥٠٨٠ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى

977-331-273-9

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦





الـزهـد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالزهد هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وهو ترك راحة الدنيا؛ طلبًا لراحة الآخرة، وأن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، ويُعين العبد على ذلك، علمه أن الدنيا ظلٌّ زائل، وخيالٌ زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا** ﴾ [الحديد: ٢٠].

وسماها الله: ﴿ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم وذم من رضى بها واطمأن إليها.

ولعلمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجلّ خطراً، وهي دار البقاء؛ فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها يُضاف إلى ذلك معرفته وإيمانه الحق أن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقضَ له منها، فمتى تيقّن ذلك ترك الرغبة في ما لا ينفع في الدار الآخرة.

أما ما ينفع في الدار الآخرة، فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)** ﴾ [المائدة: ٨٧].

وليس المقصود بالزهد في الدنيا رفضها؛ فقد كان سليمان وداود عليها السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما

من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة.

وكان عليّ بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد سُئل الإمام أحمد: أيكون الإنسان ذا مال وهو زاهد، قال: نعم، إن كان لا يفرح بزيادته، ولا يحزن بنقصانه.

وقال الحسن: ليس الزهد بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال، ولكن أن تكون بما في يدِ الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن تكون حالك في المصيبة، وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.

والزهد في الحرام فرض عين، أما الزهد في الشبهات، فإن قويت الشبهة التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً، وهناك زهد في فضول الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره،

وزهد في الناس، وزهد في النفس، حيث تهون عليه نفسه في الله، والزهد الجامع لذلك كله هو الزهد فيما سوى ما عند الله، وفي كل ما يشغلك عن الله.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، والزهد في الزهد كمن يرى نفسه قد ترك بعرة وأخذ جوهرة، وأصعبه الزهد في الحظوظ، وقد مدح الله تعالى الزهد في الدنيا، وذم الرغبة فيها في غير موضع فقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقال: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾

[غافر: ٣٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كنت

نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة» [رواه ابن ماجه والحاكم].

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: أتى النَّبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك**» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء**» [رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

والأنبياء والمرسلون هم قدوة البشر في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن طالع حياة سيد الأولين والآخرين لعلم كيف كان ﷺ يرقع ثوبه ويخصف نعله، ويحلب شاته، وما شبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض، وكان لرُبما ظلّ اليوم يتلوى لا يجد من الدقل (ردئ التمر) ما يملأ بطنه.

وفي غزوة الأحزاب ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويمر على أهله الهلال ثم الهلال، ثم الهلال لا يوقد في بيوتهم النار، طعامهم الأسودان: التمر والماء.

وكان يقول ﷺ: «**اللهم لا عيشَ إلاَّ عيش الآخرة؛ فاغفر للأنصار والمهاجرة**» [رواه البخاري ومسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليفًا» [رواه البخاري ومسلم]، وأخرجت رضي الله عنها كساءً ملبداً وإزاراً غليظًا فقالت: «قُبض رسول الله ﷺ في هذين» [رواه مسلم].

ولما كان ﷺ هو الأسوة والقدوة، فقد سار على دربه

الأفاضل؛ فعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: «طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطًا، وترًا بها فراشًا، وماءها طيبًا، والكتاب شعارًا، والدعاء دثارًا، ورفضوا الدنيا رفضًا».

وكتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه: «أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عند الله، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده، وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم والسلام».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رداءٌ، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته» [رواه البخاري].

وعن عروة بن الزبير أن أم المؤمنين عائشة جاءها يومًا من عند معاوية ثمانون ألفًا، فما أمس عندها درهم، قالت لها

جاريتها: فهلا اشتريت لنا منه لحمًا بدرهم؟ قالت: لو ذكرتني لفعلت.

وقال ابن مسعود ﷺ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له. ولما قدم عمر ﷺ الشام تلقّاه الجنود وعليه إزار وخُفَّان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين، يلقاك الجنود وبطارقة الشام، وأنت على حالتك هذه، فقال: «إنّا أعزنا الله بالإسلام، فلن يُلتمس العز بغيره».

ودخل رجل على أبي ذر ﷺ فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر، ما أرى في بيتك متاعًا، ولا أثاثًا. فقال: إنّ لنا بيتًا نوجه إليه صالح متاعنا. وقال: إنَّ صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وكان عمرو بن العاص ﷺ يخطب بمصر ويقول: ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم فأرغب الناس فيها.

وقال عليّ ﷺ: تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش إلاَّ جلد كبش، كنّا ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح (البعير) بالنهار، وما لي خادم غيرها، ولقد كانت تعجن، وإن قُصّتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها.

وعن معاذ ﷺ لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فأتى فقيل: لم تصبح، قال: انظروا أصبحنا؟ فأتى فقيل: لم تصبح، حتى أتى في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مُغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وقد ذكر الإمام أحمد أن أفضل التابعين علمًا سعيد بن المسيب، أما أفضلهم على جهة العموم والجملة فأويس

القرني، وكان أويس يقول: «توسدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم»، وكان لربما لم يستطع الخروج إلى المسجد من العرى، وكان يعتذر إلى الله أن يبيت شبعانًا وفي الأرض ذي كبد رطبة جائع.

وعن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أتى عليه أمداد من أهل اليمن سألهم، فقال: هل فيكم أويس بن عامر القرني؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: أنت من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. كان بك برصٌ فبرأت منه إلاَّ موضع درهم؟ قال: نعم. قال: ألك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلاَّ موضع درهم، له والدة هو برّ بها، لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»؛ فاستغفر لي، فاستغفر له. وقال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها،

فيستوصي بك؟ قال: لأن أكون في غبراء الناس أحب إليَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر فسأله عن أويس كيف تركته؟ قال: رثّ الثياب، قليل المتاع، فلما قدم الكوفة أتى أويسًا، فقال: استغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن الناس له، فانطلق على وجهه.

قال أسير: وكسوته بُردًا، فكان إذا رآه إنسان عليه قال: من أين لأويس هذا البُرد.

وقال مالك بن دينار، يعمد أحدهم فيتزوج ديباجة الحي (فاتنة الحي)، فتقول: أريد مِرطًا (أكسية من صوف) فتمرُط دينه (أي تذهب به) ».

وكان كثير من السلف يعرض لهم بالمال الحلال، فيقولون: لا نأخذه، نخاف أن يُفسد علينا ديننا. وكان حماد بن سلمة إذا فتح حانوته وكسب حبتين قام.

وكـان سـعـيـد بن المسـيب يـتـجـر في الزيت، وخلف أربعـمـائة دينار، وقـال: إنما تركـتـهـا لأصـون بهـا عـرضي وديني.

وقال سفيـان الثوري: الزهد في الدنـيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

وقال الشافعي في ذم الدنيا والتمسك بها:

وما هي إِلاَّ جيفـة مستحيلـة

عليها كلاب همُهن اجتذابُها

فإِن تجتنبها كنت سِلماً لأهلها

وإِن تجتذبهـا نازعتك كلابهـا

وكـان أبو سليـمـان الداراني يـقـول: كل مـا شـغلك عن الله، من أهل، ومال، وولد فهو مشؤوم.

والأخبار في الزهد كثيرة، وفيه التأسي برسول الله ﷺ وصحـابتـه الكرام، كـمـا أن فيـه تمام التوكل على الله، وهو

يغرس في القلب القناعة، وبمثابة راحة في الدنيا، وسعادة في الآخرة، والزاهد يحبه الله ويحبه الناس؛ فإن امتلكت فاشكر، وأخرج الدنيا من قلبك، وإن افتقدت فاصبر؛ فقد طويت عمن هم أفضل منك، فقد كان نبيك ﷺ ينام على الحصير، حتى يؤثر في جنبه، ومات وفي رف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حفنة من شعير تأكل منها، وكنت إذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ نلت السقف.

وخطب عمر رضي الله عنه وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة من الجوع مغشيًا عليَّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، يرى أن بي الجنون، وما هو إلاَّ الجوع» [رواه البخاري].

لقد طويت الدنيا عنهم، ولم يكن ذلك لهوانهم على الله، بل لهوان الدنيا عليه سبحانه، فهي لا تزن عنده جناح بعوضة، وركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها.

فلا تأسَ ولا تجزع على ما فاتك منها، ولا تفرح بما آتاك؛ فالمؤمن لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن، وللناس شأن، وكنْ عبداً لله في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وسواء أقبلت عليك الدنيا أو أدبرت، فإقبالها إحجام، وإدبارها إقدام، والأصل أن تلقاك بكل ما تكره، فإذا لاقتك بما تحب فهو استثناء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



